ضلالات عبدالله القصيمي

محمد سعد زغلول سالم

٤ يونيو ٢٠٠٦

١. إسترعى إنتباهى الإنقسام الواضح فى الآراء حول كتاب (أيها العقل من رآك) لعبدالله القصيمى وحول شخصية الكاتب أيضا. فقد أشاد البعض بما قرأه وهاجمه البعض الآخر وهذا أمر مفهوم بالنظر إلى آراء الكاتب الصادمة للمشاعر الدينية بصفة عامة ولكننى أتساءل صادقا : هل يشارك المشيدون بكتابات وأفكار عبدالله القصيمى الكاتبَ نزعته الإلحادية ؟ وإذا لم يكن الأمر كذلك فبماذا يشيدون فى هذه الأفكار والتأملات ؟.

٢. إننى أرى فى مَنْحَى حياة عبدالله القصيمى ضلالا شديدا عن عقيدته الإسلامية وإمعانا شاذا غير مفهوم وغير مسبوق ـ لا أكاد أعرف له مثيلا بين أشد الملحدين والمرتدين عن الإسلام ـ فى الهجوم على فكرة الألوهية وإنتقاد وتسفيه الذات الإلهية وعلاقة الله عز وجل بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وبالإنسان العربى بصفة خاصة كما يبدو واضحا من مضمون عشرات الأفكار والتأملات التى ساقها فى كتبه العديدة التى خصصها لهذا الهدف الغريب الذى ربما لم يسبقه إليه سوى بعض الملحدين الغربيين المضطربين نفسيا وعقليا. فإنتقاد الذات الإلهية ووصفها بأوصاف يعف اللسان عن ذكرها ويعزف العقل عن مجرد الإلتفات إليها أمر لا يقدم عليه إنسان عاقل أيا ما كانت دوافعه. فمعظم الملحدين أو المرتدين عن الإسلام يعرضون إنتقاداتهم وأفكارهم اللادينية إستنادا إلى حجج كثيرة مثل عدم القدرة على تخيل قدرة كقدرة الله خلقت كل هذا الكون من العدم ومثل عجز العقل عن إدراك الحكمة الكامنة وراء العديد من مظاهر الكون والحياة ومثل قناعاتهم بعدم قدرة الإسلام على مسايرة التطور وما إلى ذلك من حجج وأسانيد يعرضونها ونعارضها فكراً بفكر ودليلاً بدليل ، أما عبدالله القصيمى فقد قطع فى طريق الضلال شأوا بعيدا لا أستطيع فهم دوافعه أو تفسير أسبابه. فهو لم يكتفى بإنتقاد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لكنه أمعن فى إنتقاد الله عز وجل بألفاظ وتعبيرات لا تصدر عن شخص مدرك أو واع لما يكتب أو يقول. ومعذرة لما سأورده هنا من أمثلة قليلة إيضاحا لما أقول حتى يتبين لقارىء هذه السطور صدق ما كتبت ، ودفعا لشعور الإحساس بالذنب الذى يساور أى منتقد لفكر أو رأى لا يستطيع صاحبه الرد عليه مثلما هو الحال مع عبدالله القصيمى الذى رحل عن الدنيا. وهذه الأمثلة منقولة حرفيا من مقالة له بعنوان (أنعاك وأعتذر إليك أيها المولود بلا مكان أو مجتمع أو انتماء) وأستغفر الله مقدما على إيرادى لها :

إسمع يا إلهي أرجوك بل أطالبك يا إلهي أن تسمع ليتك تستطيع أن تسمع لكي أقول لك : هل وجد مثلك مفتضحاً وخائباً خاسراً في مباهاتك بالإنسان العربي وفي انتظارك له ومنه وفي انتسابك إليه واستنصارك به أو مثل الإنسان العربي في ضخامة خيبته وافتضاحه وخسرانه مفاخراً ومقاتلاً مخاصماً ملاعناً معادياً بك ولك ومنتظراً منك

ولك ؟ هل وجد سلاح مهزوم ومهان وخادع كاذب مثلك يا إلهي في يد الإنسان العربي أو مثل الإنسان العربي في يدك ؟ فكر يا إلهي فكر كم أرجوك وأتضرع إليك أن تفكر في هذا : هل خسر أي خاسر بأي شيء مثلما خسرت بالإنسان العربي أو مثلما خسر بك الإنسان العربي يا إلهي يا أعظم خاسر وأعظم صانع للخسران ؟! هل وجدت علاقة فيها كل القبح والخسران دون أن يكون فيها أي قدر من الجمال أو الربح مثل العلاقة بينك يا إلهي وبين الإنسان العربي ؟ هل يوجد فاضح لقبح العلاقات بين أي كائن وكائن بين أي شيء وشيء مثل العلاقات بينك وبين الإنسان العربي ؟ أريد أن أكرر أكرر لأقول : هل هزم أحد بأحد أو بشيء مثلما هزمت يا إلهي مقاتلاً ومعادياً ومخاصماً ومحاوراً وملاعناً بالإنسان العربي أو مثلما هزم الإنسان العربي معادياً ومحارباً ومشاتماً ومخاصماً مبارزاً بك ومنتظراً منك مؤملاً فيك وداعية لك ومؤمناً مبشراً مستنصراً مستغيثاً بك ومتوكلاً عليك ؟ هل خسر بإيمانه مثلما خسر الإنسان العربي بإيمانه بك أو مثلما خسر أي إله بكونه إلهاً أو مثلما خسرت يا إلهي بألوهيتك للإنسان العربي ؟ هل هجا الإيمان شيء مثلما هجاه إيمان الإنسان العربي أو هجا الآلهة شيء أو أحداً مثلما هجوتهم أنت يا إلهي يا إله الإنسان العربي مثلما هجوتهم بأخلاق ومواهب ألوهيتك ؟ كيف جرؤت وتجرؤ يا إلهي على التحدث عن أي ربح أو مجد لك من الإنسان العربي أو كيف جرؤ ويجرؤ هو على أن يتحدث عن أي ربح أو مجد له هو منك من علاقات أحدكما بالآخر وانتماءاته إليه وادعاءاته ؟ ألم يحاول أحدكما أن ينظر ليرى ما الذي فعل بالآخر أو له وما الذي أعطاه ؟ كيف جرؤتما أي أنت يا إلهي والإنسان العربي على التعامل بهذه الوقاحة أو البلادة أو البلاهة أو الفضيحة المعلنة المتبادلة بينكما ؟ من علمكما ذكاءكما وأخلاقكما وفضائحكما ؟ كيف استطاع معلمكما أن يهبط إلى هذا الحضيض لكي يعرف ويستطيع أن يعلمكما الهبوط إليه ؟ إن هبوطكما في علاقات أحدكما بالآخر أي أنت يا إلهي.

وفى كتاب (أيها العقل من رآك) (وهو بالمناسبة أحد أجزاء المجلد الثانى من كتابه : العالم ليس عقلا والجزءان الآخران هما : صحراء بلا أبعاد و عاشق لعار التاريخ وكلها تدور حول نفس الفكرة الغريبة المتسلطة على عقله فى الهجوم على الذات الإلهية وتسفيه ما يلوح لعقله المضطرب منها من مشيئة وإرادة ورغبات !!) كتب الآتى :

لقد خلق الإلهُ الإنسانَ لكي يعبده ويطيعه. ولكنه كان يعلم قبل أن يفعل ذلك أنه لن يعبده ولن يطيعه. فهل كانت رغبته في عبادة الإنسان له غير ناضجة أم كانت خطته لتحقيق رغبته غير كافية ؟.

إن الله لم يخلق هذه الدنيا وهذا الكون إلا بحثًا عن السعادة لنفسه.

إن الأنبياء لم يُبعَثوا إلى الناس والوحي لم ينزل عليهم لأنهم أفضل من الكائنات الأخرى بل لأنهم أجرأ وأقدر على الادِّعاء والكذب باسم الكائنات البعيدة الصامتة.

وفى مقال له بعنوان (في غار حراء لم أجد الإله ولا الملاك) كتب :

(ذهبت إلى الغار غار حراء غار محمد وإلهه وملاكه إلى الغار العابس اليابس البائس اليائس ذهبت إليه استجابة للأوامر. دخلت الغار دخلته صدمت ذهلت فجعت خجلت خجلت من نفسي وقومي وديني وتاريخي وإلهي ونبيي ومن قراءاتي ومحفوظاتي ! أهذ هو الغار. غار حراء هو الذي لجأ واختبأ فيه الإله كل التاريخ ! ذهبت إليه إلى الغار غار القرآن المغلق والهادم لكل غار قبله ولكل غار بعده لأنه يجب أن يكون هو كل غار وآخر غار والغائر والغيور من كل غار ! ذهبت إلى الغار الذي ولد وورث وعلم ولقن وألف وحرض وخلد أقسى أقوى أغبى واجهل وأدوم إلهيات ونبوات وديانات ووقاحات ووحشيات !.

(جاء إلي ملاك الوحي. جاء إلي بوجه وطلعة وملامح وتعبيرات وحركات وكلمات واعترافات لا بد أن توقظ وتحرك وتهز وتخيف وتفجع بلادة وخمول ونوم وموت وصمم وأمن الإله ! هكذا كان ملاك الوحي ومن معه يتكلمون .. تحت حوافز الصدق والتقوى وبنياتهما – أن يفعلوا ذلك تائبين ونادمين لا أن يفعلوه كما يفعله الإله حين يعلن ويعترف بكل السذاجة أو البلاهة أو الوقاحة أو السفاهة أو بالتفسير الذي لا تفسير له انه المريد المخطط الفاعل لكل شيء !).

(اسمع يا إلهي .. اسمع بآذان غير آذانك التي جربناها وعرفناها ! لقد كان من صنع لك يا إلهي أذنيك اعظم فنان أي جعله لهما بلا وظيفة بل ضد الوظيفة المفروضة فيهما ! إني يا إلهي سأسأل هذا السؤال حتى دون أن تأذن أو تغفر بل حتى لو كان محتوما أن تقاسي من الغضب والحيرة والعجز والافتضاح ! لقد جئت يا إلهي في حجم ترفض كل الأحجام أن تكونه أو تكون شيئا منه أي في حجمه المادي أو المعنوي إنك يا إلهي بلا أي حجم).

٣. مما يثير الدهشة والإهتمام أن عبدالله القصيمى قد بدأ حياته الدينية مدافعا شرسا عن عقيدة الوهابية فى موطنه السعودية كما يتضح من أول كتبه التى كتبها فى سنة ١٩٣١ أثناء دراسته فى الجامع الأزهر بعنوان (البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية) ردا على أحد الكتب المنتقدة لبعض أفكار الوهابية كتبه أحد علماء الأزهر حينذاك (الشيخ يوسف الدجوي). كما كتب فى مطالع حياته الدراسية والدينية العديد من الكتابات المدافعة عن عقائد الإسلام والمسلمين مثل كتاب (نقد كتاب حياة محمد لهيكل) ردا على ما رآه من مخالفات عقيدية فى كتاب الدكتور محمد حسين هيكل (حياة محمد). ولذا فإن إنتقاله من صفوف المدافعين عن العقيدة الإسلامية إلى صفوف أعتى الملحدين الضالين عن هذه العقيدة يمثل منحى غير متوقع فى سيرة حياته. ورغم أن هناك الكثير من التفسيرات لأسباب هذا التغير إلا أننى لا أحبذ الخوض فيها لأنها ترجع بعض هذه الأسباب إلى أمور شخصية وعائلية خاصة به.

٤. بعيدا عن غرابة و شذوذ الموقف المُمْعِنْ فى التطرف ضد الله عز وجل و ضد نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم وضد فكرة الألوهية بشكل عام فإننى لا أستطيع إغفال بعض الملاحظات التى أراها فى أسلوب وفى أفكار عبدالله القصيمى والتى تتمثل فى العديد من الأخطاء والترهات بدءا من ركاكة الأسلوب وفجاجة التعبير وإنتهاءا بسذاجة

المضمون بل وتفاهة وغياب المعنى فى معظم كتاباته. ومرة أخرى أجدنى مضطرا لذكر أمثلة لبعض هذه المآخذ التى آخذها عليه وأرجو ممن يرى فيها غير ما أرى أن ينبهنى إلى ذلك كما أرجو ممن يستطيع فهم أو إدراك معنى أو مُراد أيٍ منها إيضاحَه لنا :

من كتاب (أيها العقل من رآك) :

هل توجد مسافة بين الله والشيطان ؟ أليس الله في حسابك هو الشيطان في حساب جارك أو مُخالِفك ؟ أليس الشيطان في حساب جارك أو مُخالِفك هو الله في حسابك ؟ هل الله غير الشيطان في حساب كلِّ البشر ؟!

إننا نتعلم من الكاهن حين نكون أصغر منه فإذا أصبحنا أكبر منه شنقناه وطردناه.

العقيدة غير المتغيِّرة ميتة لأن الحياة تغيُّر دائم والذي لا يغيِّر عقيدته هو إنسان يحيا بلا عقيدة.

الحياة خصمٌ دائمٌ للنزاهة والنظافة.

نحن نحيا لأننا لا نستطيع أن نموت ونموت لأننا لا نستطيع أن نحيا. إننا نحيا بالجاذبية كما نموت بالجاذبية.

إن العبقري هو كلُّ الإنسان التافه مصابًا بالعبقرية والإنسان التافه هو كلُّ الإنسان العبقري معافى من العبقرية.

الإنسان المتحضِّر هو الإنسان الهمجي بأسلوب حضاري.

إن الفرق بين الإنسان والطبيعة ليس إلا فرقًا في مستوى الوجود. إنه ليس فرق رسالة أو فضيلة أو تخصيص أو تمييز أو منطق.

وأخيرا .. لا أجد ما أختم به هذه النبذة القصيرة عن هذا الموضوع غير أملى بأن تكون ذات فائدة لمن يقرأها وغير أن أدعو الله أن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وأن يثبت لنا ديننا وينصرنا على سيئات أنفسنا وشطط عقولنا. آمين.